*الهمذاني ,الحسن بن أحمد (ت 569) . التمهيد في معرفة التجويد , تحقيق د- غانم الحمد , ط1, دار عمار ,عمان 1420هـ 2000م .
* ابن يعيش , الشيخ موفق الدين النحوي . شرح المفصل , ط ,دار الكتب العلمية , بيروت ,بدون تاريخ.

سيبويه و الدلالة في الموروث اللغوي
عند العرب في ضوء الدرس اللساني المعاصر

الدكتور محمد فضل ثلجي الدلابيح
أستاذ مساعد كلية الآداب – قسم اللغة العربية
جامعة جرش الأهلية – الأردن

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين سيدنا محمد

وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعدُ ،

فإن الحديث عن سيبويه يعني الحديث عن عالم أرسى قواعد النحو العربي وترك لنا كنزاً من الكنوز التي نعتز بها في موروثنا اللغوي يتمثل في كتابه الذي يُعد بحق منهلاً يرتوي منه كلّ من أراد أن يسبر غور علوم اللغة العربية،وغيرها من العلوم "فلم يقتصر أثر كتاب سيبويه على الدراسات النحوية واللغوية والصوتية إنما تعدّى ذلك إلى البلاغة، فهذا عبد القاهر الجرجاني ينقل عنه في كتابيه "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز"، وهذا ابن سنان الخفاجي يستفيد منه في كتابه "أسرار الفصاحة" ونقل عنه العلوي في كتابه "الطراز" وقل مثل هذا في كتب الفقه، وعلم التجويد والقراءات، لأن سيبويه لم يقتصر في كتابه على النحو والصرف بل تعدّى ذلك إلى غيرهما من العلوم"[65]".

وها نحن نجد أبا عمر الجرمي قد قال: "أنا منذ ثلاثون أفتي الناس في الفقه من كتاب سيبويه"[66]" إذ إنَّ أبا عمر الجرمي: "كان صاحب حديث فلما علم كتاب سيبويه تفقه في الحديث إذ كان كتاب سيبويه يتعلم منه النظر والتفتيش"[67]".

فكتاب سيبويه ما هو إلا "صورة من الموسوعة العربية الضخمة التي تضم بين مجلداتها كثيراً من الآثار اللغوية والدينية والعلمية والأدبية"[68]".

وإنّ من أراد أن يتعلم فنون التعبير فليمعن النظر في هذا المرجع الذي لا يستطيع أيّ دارس للعربية الاستغناء عن الرجوع إليه، فسيبويه "كان يفهم من النحو ما نفهمه نحن الآن من (علم التراكيب)،وهو مفهوم يُدرَس في إطاره فن التعبير، وعلاقات أجزاء الجملة بعضها ببعض، وعلاقات الجمل فيما بينها"[69]".

---

[65] الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ص21، د. خديجة الحديثي، مطبعة فقهوي، الكويت، 1974م.

[66] الكتاب ، سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج1، مقدمة التحقيق ص6، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

[67] السابق، نفسه، ص6.

[68] اللغة والنحو، ص5، حسن عون، دراسات تحليلية ولغوية ومقارنة، ط1، مطبعة رويال بالإسكندرية، 1952م.

[69] التعليل اللغوي في كتاب سيبويه، ص241، د. شعبان محمد العبيدي، دار الكتب الوطنية، بنغازي.

وإنَّ كتاب سيبويه يُعد أساس المعايير اللسانية في الدرس اللساني المعاصر ،وقد تحددت لنا من خلال كتاب سيبويه العلوم اللغوية على مختلف أنواعها، ومستويات الدرس اللساني المعاصر. وكتابه يعتبرمرجعاً للمبادئ اللسانية التي تُبحث في وقتنا الحالي حول بنية الجملة والربط بين أجزائها من أجل إيراد المعنى بكل وضوح.

" ودراسة الجملة هي غاية الدرس اللغوي كله"[70]".وقد ذهب بعض اللغويين إلى أنّ الجملة "من أهم وحدات المعنى، بل ويعتبرها بعضهم أهم من الكلمة نفسها وعند هؤلاء لا يوجد معنى منفصل للكلمة، وإنما معناها في الجملة التي ترد فيها فإذا قلت إنّ كلمة أو عبارة تحمل معنى فهذا يعني أنّ هناك جملاً تقع فيها الكلمة أو العبارة، وهذه الجمل تحمل معنى"[71] ".

و"لقد وضع سيبويه بكتابه حجر الأساس الذي قام عليه الدرس اللساني العربي

فتحددت من خلاله معالم علوم اللغة، ومستويات الدرس اللساني، فعلم النحو عنده يعني علم التراكيب الذي يحيط بدراسة القواعد التي تحكم بناء الجملة وتركيبها والضوابط التي تضبط كل جزء منها، وعلاقة هذه الأجزاء بعضها ببعض وطريقة ربط هذه الجمل وأنواعها ويعرف هذا النوع من الدرس في علم اللسانيات باسم (Syntax)أي دراسة بنية الجمل أو التراكيب (Structures)"[72]".

والدرس اللساني المعاصر يقوم على أربع مستويات: الصوتي، والصرفي والتركيبي، والدلالي"[73]". وإنّ الباحث في علم اللسانيات لا بد له من العودة إلى التراث؛ إذ إنّ كثيراً مما يُبحث في علم اللسانيات ويرى البعض أنه قد اكتُشف حديثاً امتدت فروعه من الأصل وهو التراث العربي "فلكي تستطيع اللسانيات أن تكون علماً قائماً برأسه مستقلاً عن بقية العلوم الإنسانية والطبيعية الأخرى فلا بد لها أن تستفيد من المعارف والنظريات اللغوية التراثية"[74]" إذ إنّ علماءنا الأوائل قد درسوا اللغة بمستوياتها الأربع التي يبحثها علم اللسانيات المعاصر،

---

[70] الأصول في اللغة العربية وآدابها،ص70 ،د. سميح أبو مغلي، مصطفى محمد، الفار، مركز غنيم للتصميم والطباعة – عمان ط1، 1990م.

71 علم الدلالة ، ص34، د. أحمد مختار عمر،عالم الكتب، القاهرة، ط 1998،5م0

72 أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص15، د. كريم زكي حسام الدين، ط3، 1983م.

السابق، نفسه، ص20. 4

[74] دراسات لسانية تطبيقية، ص31، د. مازن الوعر، ط1، 1989م، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

"فدراستهم للغة شملت مستويات اللغة كافة: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، وهذا ما يدعو إليه المنهج الحديث"[75]". والمستويات الأربع تتمثل في أول كتاب نحوي وصل إلينا وهو كتاب سيبويه الذي يُعد "منطلق التحليل النحوي العربي في تاريخ الدراسات النحوية التركيبية، وفي اعتقادي أنه لو استطاع العرب فهم كتاب سيبويه فهم رواية ودراية وعمق لنبشوا حقائق نحوية من هذا الكتاب لا تقل أهميتها عن الحقائق النحوية التي أتى بها عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي، ولكن هذا يحتاج إلى جهد كبير جداً، ليس هناك مؤشرات لحوافزه في مناخ الدراسات اللغوية المعاصرة"[76]".

"وقد اثبت باحثون لسانيون غربيون معتدلون (أمثال روبنز، وتشومسكي) تأثر اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي وذلك عن طريق وسائل مختلفة سواء أكانت مباشرة (الاطلاع على التراث اللغوي العربي باللغة العربية) أم غير مباشرة (عن طريق ترجمة أعمال النحاة واللغويين والبلاغيين العرب إلى لغات أجنبية كثيرة وخاصة اللغة الألمانية"[77]".

ولا أغالي إذا قلت: بأنَّ كتاب سيبويه يمثل التراث اللغوي العربي وإني أقف في صف الدكتور "مازن الوعر، وفي صف الباحثين الذين يذهبون إلى أنَّ "الكثير من المفاهيم اللغوية الموجودة في اللسانيات الحديثة موجودة في التراث اللغوي العربي"[78]". وهذا ما أثبته علماء يعدون من أشهر العلماء في الدارسات اللسانية الحديثة كما لاحظنا في الفقرة السابقة "فهناك مفاهيم لغوية في كتاب سيبويه تشبه حقائق ومفاهيم لسانية عند تشومسكي ولا سيما في حقل علم النحو أو التراكيب"[79]" "فالضوابط المفروضة على التراكيب العربية من أجل الحد من قوة القواعد النحوية (كالضوابط المفروضة على التركيب الاستفهامي) تشبه الضوابط المفروضة على القواعد النحوية التوليدية والتحويلية التي كان وضعها عالم اللسانيات الأمريكي تشومسكي"[80]".

---

[75] فقه اللغة العربية وخصائصها، ص95د. أميل بديع يعقوب، ط1، 1982م، دار العلم للملايين، بيروت.

[76] دراسات لسانية تطبيقية، ص29.

[77] دراسات لسانية تطبيقية، ص31.

[78] السابق، نفسه، ص37.

[79] دراسات لسانية تطبيقية ، ص37.

[80] دراسات لسانية تطبيقية، ص67.

والضوابط المفروضة على التراكيب العربية التي نجدها في كتاب سيبويه والمشابهة للضوابط عند تشومسكي هي من المعايير اللسانية، ومن المبادئ اللسانية التي كانت في ذهن سيبويه. وقد كان سيبويه لا يقف في تحليله عند السطح الخارجي للتراكيب، بل كان يتجاوزها إلى ما يختفي وراء السطح وهذا ما كان محل اهتمام اللغويين العرب قبل علماء اللغة المحدثين كشومسكي الذي كان "تصوره عن التركيب السطحي والتركيب العميق يقترب من فكرة التركيب الظاهر والتركيب المضمر عند اللغويين المسلمين"[81]".

"وقد بدا سيبويه كتابه بدراسة قضايا التراكيب، فقضايا بنية الكلمة، ثم ختم كتابه بباب الإدغام الذي عالج فيه القضايا الصوتية، وهذا المنهج الذي اتّبعه أحدث الاتجاهات في التحليل اللساني لدى اللغوي الأمريكي تشومسكي الذي رأى أنَّ التحليل اللغوي يجب أن يبدأ من التراكيب فالمفردات ثم الأصوات"[82]".

ومن المبادئ اللسانية النظر إلى اللغة على أنّها وحدة واحدة متحدة العناصر كالبناء المتماسك، وهذه كانت نظرة سيبويه للغة قبل أن يتحدث عنها العلماء المحدثون فسيبويه كان ينظر إلى اللغة على أنّها "وحدة متماسكة، يفسر بعضها بعضاً،ويُقاس بعضها على بعض"[83]". وهذه هي النظرة نفسها التي نظرها كل من "دوسوسير وبلومفيلد، وتشومسكي ... فاللغة عندهم بناء أو نظام تعتمد عناصره المختلفة بعضها على بعض، ووجود هذا النظام مهم بالنسبة لفهم كل من التغير اللغوي، ونظام اللغة، والدور الذي تقوم به في المجتمع"[84]".ومن المبادئ في اللسانيات الحديثة ما ذكره لنا سوسير على أن اللغة ينبغي دراستها في ضوء علاقتها بالمتحدثين باللغة ومشاعرهم النفسية"[85]".

والناحية النفسية للمتكلمين كانت مراعاة عند سيبويه، ولا سيّما ما يتعلق بالتقديم والتأخير الذي يُعد من المعايير اللسانية والذي يأتي من "العناية والاهتمام – بوصفها أصلاً تُرَدّ إليه معظم التقديمات عند سيبويه– تقع في نظري موقعها، إذ أزعم أنه أدرك أن أغراض التكلم كثيرة متنوعة ومتغيرة بحسب المقال والمقام والأعصر والثقافات، ومن الصعوبة بمكان، بل من المستحيل – أحياناً – أن توضع لذلك حدود ورسوم وخرائط تدل المبدعين على مواقع من القول،

---

[81] أصول تراثية في اللسانية الحديثة، مقدمة الطبعة الثالثة.

[82] السابق ، نفسه، ص15.

[83] سيبويه إمام النحاة، ص149،علي النجدي ناصف،ط1،مكتبة نهضة مصر،القاهرة،1953م0

[84] أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص35.

[85] السابق،نفسه، ص37.

ناهيك بتحديد أغراضهم"[86]".

قال سيبويه: "وإن قدمت المفعول وأخّرت الفاعل جرى اللفظ كما جرى في الأول، وذلك قولك: ضرب زيداً عبد الله؛ لأنك إنما أردت به مؤخراً ما أردت به مقدماً، ولم تُرد أن تشغل الفعل بأوّلَ منه، وإن كان مؤخراً في اللفظ، فمن ثَمَّ كان حد اللفظ أن يكون فيه مُقَدّماً وهو عربيٌ جيّد، كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يهمّانهم ويعنيانهم"[87]".

"وقد ذهب علماء اللغة إلى أنّ أي دراسة لغوية لا تقوم على دراسة القوى النفسية الكامنة وراءها هي دراسة ناقصة كما أن الدراسة النفسية يجب أن تستعين أيضاً بمعطيات علم اللسان ومن هنا كانت ضرورة التقاء العلمين"[88]".

وإنّ مراعاة المقال والمقام وأثر السياق في تحديد المعنى تُعد من المبادئ اللسانية التي كانت معروفة لدى سيبويه من قبل أن يشير إليها المحدثون كأمثال فيرث وتلاميذه الذين "يؤكدون على دور السياق في تحديد المعنى، والاستعمال الفعلي للكلمة في إطار مجتمع بعينه والذي يحكمه أمران :-

الأول: السياق اللغوي الذي لا ينظر إلى الكلمات كوحدات منعزلة، فالكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية وهو ما سماه القدماء بالمقال.

الثاني: سياق الموقف أو فيما سماه القدماء بالمقام الذي يؤدي دوراً هاماً في تحديد المعنى"[89]".

ويقول شْيرْت: "إنّ معظم تغيرات المعنى تنتج عن رغبة المتكلم في أن يوفّق بين الكلام وبين وظيفته التي يستخدم من أجلها"[90]".

---

[86] الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، ص283.

[87] (الكتاب ج1، ص34.

88 أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص73.

[89] أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص46.

[90] Sulman. The principles of semantics.p.9.

"ولـــم يكـــن (مالينوفســـكي) وهـــو يصـــوغ مصـــطلحه الشـــهير: (Contextofsituation) – أي المقام أو سياق الحال – لم يكن يعلم أنّه مسبوق إلى هذا المصطلح بألف سنة فما فوقها"[91] "،وأرى أننا لا نجانب الصواب إذا قلنا:بأن مراعاة المقام والمقال وأثرهما في تحديد المعنى من أهم فنون التعبير،والإحاطة بفنون التعبير لا تتأتى إلا لمن لديه سعة الإطلاع على اللغة والنفاذ إلى أسرارها، والإمساك بزمامها أيّما إمساك، وهذا ما توفر لدى سيبويه فالناظر في كتابه نظرة تأمل يجد نفسه أمام كتاب كانت لصاحبه سعة إطلاع على لغات العرب التي قام باستقرائها بنظر ثاقب أدّى إلى أن نجد أنفسنا أمام "هذا السفر العظيم الذي أقامه العالم الجليل في ساحة الخلود أثراً وأرسله مع الأيام ذكراً، وأدّخره للعربية كنزاً، وندبه في العالمين شاهداً على براعته فيها، ونفاذه إلى أسرارها، وإمامته في الإشتراع لها وضبط أصولها، على نحو يعز نظيره في الأولين والآخرين: شمول إحاطة، وبراعة أستاذية، وسلامة تحليل، وصدق نظر وصحة حكم"[92].

فلو لم تكن لدى سيبويه القدرة الفائقة في التحليل للغات العرب، ولو لم يكن صاحب ثقافة واسعة لم نجد لديه هذا الإطلاع الواسع بمختلف العلوم، فسيبويه "وإن أخذ النحو جل اهتمامه إلا أنه أخذ من كل علم بسبب"[93].وها هو ابن عائشة يقول: "كنا نجلس مع سيبويه النحوي في المسجد، وكان شاباً جميلاً نظيفاً، قد تعلّق من كل علم بسبب، وضرب فيه بسهم، مع حداثة سنّه، وبراعته في النحو"[94]."

فها هو أبو بكر محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي المصري، ابن الصيرفي أُطلق عليه لقب سيبويه لأنه ؛ "كان عارفاً بالنحو والمعاني والقراءة والغريب والإعراب، والأحكام وعلوم الحديث والرواية واعتنى بالنحو والغريب حتى لقب بسيبويه لذلك"[95].

---

[91] علم اللغةالاجتماعي عند العرب،د0هادي نهر ، ص86،ط1، 1408–1988م

[92] سيبويه إمام النحاة، ص123، علي النجدي ناصف، ط1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1953.

[93] المدخل إلى كتاب سيبويه، ص(15)، د. محمد عبد المطلب البكاء، ط1، بغداد 2001.

[94] طبقات النحويين واللغويين، ص67، أبو بكر الزبيدي. نزهة الالباء، ص56، كمال الدين بن الأنباري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر، القاهرة. إنباه الرواة على أنباه النحاة، 352/2، جمال الدين علي بن يوسف القفطي.

[95] معجم الأدباء ص19: ص61،ياقوت الحموي، سنة 1355 بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ص(108)، للسيوطي. السعادة 1326.

ومن المعروف أنّ لكل علم أصول يقوم عليها، فالباحث في كتاب سيبويه المتمعن في نصوصه، والمطّلع على المؤلفات التي جاءت بعده يجده مرجعاً لا بد من العودة إليه، ويجد فيه إشارات للأصول التي قامت عليها العلوم العربية وغيرها.وكما انتبه سيبويه إلى أهمية المقام والمقال فقد انتبه إلى أهمية السياق في تحديد معنى الكلمة قبل أصحاب المدرسة الإجتماعية الإنجليزية الذين لم يأتوا بشيء لم يكن معروفا لدى سيبويه. لقد"اهتم اللسانيون الذين درسوا المعنى بالسياق وأكد البعض من أصحاب المدرسة الإجتماعية الإنجليزية بصفة خاصة على الدور الهام للسياق في تحديد دلالة الكلمات"[96] ".

وسيبويه "لم يكتف في دراسته النحو بالمعاني النحوية فقط، بل تجاوزها إلى إطار المعنى الدلالي وما تؤديه معطيات الموقف السياقي من إبراز ذلك المعنى"[97]".

وإنّ سيبويه "قد اعتدّ المعنى فيصلاً في تصحيح النحو"[98]".

وللسياق "أهمية كبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه. ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على أكثر من معنى واحد، فالذي يحدد المعاني ويفصلها هو السياق في مورد النص، لذلك نلاحظ أنّ اللغويين يصفون المعنى المعجمي للكلمة بأنه متعدد ويحتمل على أكثر من معنى واحد، في حين يصفون المعنى السياقي لها بأنّه واحد لا يحتمل غير معنىً واحد"[99]".

فسيبويه "يضع بلمحاته الدالة أصولاً كبرى، ويترك لمن يعقبه مهمة التفسير والتوجيه، ويبدو أن هذا ما جعل عبد القاهر الجرجاني يتحامل على النحاة بعده"[100]".

وكتاب سيبويه "ليس أعظم مراجع النحو والصرف عامة وكفى، ولكنه مع ذلك أصل من أصول الثقافة الإسلامية، في غير ناحية من نواحيها المتعددة انشق عنها، أو هدى

---

[96] أصول تراثية في اللسانيات الحديثة. ص248.

[97] رسالة ماجستير: نظرية المعنى في كتاب سيبويه، ص الملخص، عماد زاهي نعامنه، إشراف د. محمد كاظم البكاء، 1999م.

[98] نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، د. نهاد الموسى، ص65، دار البشير، عمان، ط2، 1987م.

[99] منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، ص185،د. علي زويّن، ط1 بغداد، 1986م.

[100] الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي، ص283، د.أحمد سعد محمد، الناشر: مكتبة الآداب، جامعة عين شمس ط1، 419هـ-1999م.

إليها، وأوحى بها"[101]".

فكتاب سيبويه يُعَدُّ مناراً يهدي كل باحث إلى الطريق الصحيح في التأليف فسيبويه كان يلجأ في تأليف كتابه إلى التحليل العلمي، ولم يكن مجرد ناقل لآراء غيره من العلماء، فالمتفحص للأدلة التي كان يستند إليها في إثبات القواعد أو نقضها[102]". يتبين له أن سيبويه كان "يحتكم إلى اللغة والسماع والقياس، فهو ينفذ إلى طبيعة اللغة والناطقين بها، وظروف المعاني التي قصد التعبير عنها، من دون أن يقف عند شكلها الظاهري"[103].فاللغة عند سيبويه "دائماً وحدة متماسكة، يفسر بعضها بعضاً، ويُقاس بعضها على بعض"[104]".

ومن المعايير اللسانية أيضاً الاستقراء إذ إنّ سيبويه "استطاع أن يقدم لنا لأول مرة من خلال المادة اللغوية التي عرض لها في كتابه وصفاً دقيقاً لنظام العربية ولم يكن ما جاء به مجرد قواعد تقريرية كما فعل معظم النحاة بعده، فقد اعتمد على الاستقراء والاستنتاج في دراسته للمادة اللغوية التي عرض لها، فلم يعرض للقاعدة النحوية كما فعل النحاة بعده، إنّما كان يعرض للنماذج اللغوية وتحليلها ويترك للقارئ إدراك القاعدة "[105]".

والمنهج الاستقرائي واحد من المعايير اللسانية،و"يعتبر المنهج الأكثر أهمية وموضوعية، والأكثر جذباً للانتباه والدراسة في العصر الحديث"[106]".

"وإن الدراسات اللغوية أكثر ما تعتمد على الاستقراء، بل لا سبيل إلى دراستها واستخراج قواعدها إلاعن طريق الاستقراء، فليست الدراسات اللغوية من القضايا المجردة التي يصل العقل إلى أحكامها الكلية قبل استقراء الجزيئات"[107]".

---

[101] سيبويه إمام النحاة، ص193.

[102] ينظر كتابنا: دليل القاعدة النحوية عند سيبويه، د. محمد فضل الدلابيح، دار الكتاب الثقافي، اربد ط1، 2005م.

[103] المدخل إلى كتاب سيبويه، ص25.

[104] سيبويه إمام النحاة،/ ص149.

105 أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص15.

106 فقه اللغة العربية وخصائصها،د. أميل بديع يعقوب، ط1، 1982م، دار العلم للملايين، بيروت، ص85.

107 الخليل بن أحمد أعماله ومنهجه، ص224.

وإنّ هناك مجموعة من المعايير اللسانية لا بد من توفرها في المستقرئ وهي: "أن يكون عالماً بلغة العرب، محيطاً بكلامها، مطلعاً على نظمها ونثرها، ويكفي في ذلك الآن الرجوع إلى الكتب المؤلفة في اللغة والأبنية، والدواوين الجامعة لأشعار العرب. وأن يكون خبيراً بصحة ذلك إليهم، لئلا يدخل عليه شعر مولّد أو مصنوع عالماً بأحوال الرواة ليعلم المقبول، وبإجماع النحاة لئلا يخرقه، وعالماً بالخلاف كيلا يحدث قولاً زائداً على القول بامتناعه"[108].

وكتاب سيبويه "كان ولا يزال أعظم عمل في النحو والصرف وغير ذلك من الدراسات المتناثرة في تضاعيفه وما يزال محتفظاً بقيمته كما كان منذ قرون"[109].

وإنّ من بين الدراسات المتناثرة في كتاب سيبويه التعريف بالدلالة الذي بوصولنا إلى الحديث عنه نكون قد وصلنا إلى الهدف الأساسي من بحثنا الذي – في أغلب الظن – لم يلتفت إليه أحد من الباحثين من قبل.

إنّ سيبويه هو أوّل من تعرّف إلى الدلالة إذ قال : "وأما الدِّلِّيلى فإنما يُراد به كثرة علمه بالدَّلالة ورسوخه فيها"[110]. "وفي التهذيب قال أبو عبيد: الدِّلِّيلى من الدَّلالة، أو هو علم الدّليل بها ورسوخه فيها قاله سيبويه"[111]. "وهو راسخ في العلم: داخل فيه مدخلاً ثابتاً"[112].

وقد "أطلقت على علم الدلالة عدة أسماء ففي الإنجليزية أشهرها الآن(Semantics) أمّا في اللغة العربية فبعضهم يسميه علم الدلالة– وتضبط بفتح الدَّال وكسرها وبعضهم يسميه علم المعنى (ولكن حذار من استخدام صيغة الجمع والقول: علم المعاني لأنّ الأخير فرع من فروع البلاغة) وبعضهم يطلق عليه اسم "السيمانتيك" أخذاً من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية"[113].وقد يُعرّف علم الدلالة بأنّه "دراسة المعنى" أو "العلم الذي يدرس المعنى" أو "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل

---

108 ارتقاء السيادة في علم أصول النحو، الشيخ يحيى الشاوي المغربي الجزائري، تحقيق عبد الرزاق عبد الرحمن السعدي،ط1، بغداد، 1411هـ–1990م.

109 الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه، ص18.

110 الكتاب، 41/4.

111 تاج العروس من جواهر القاموس 17/6، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

112 العين 2/1.

113 علم الدلالة، ص11، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

المعنى"[114]".

وإنّ علم الدلالة واحد من العلوم التي تتشكل منها اللغة، ولا يمكن لأي واحد منها أن يكون منعزلاً عن الآخر، فكل العلوم اللغوية وحدة واحدة، وكلّ منها معتمد على الآخر.

ودراسة المعنى تحتاج إلى النظر من عدة زوايا هي: الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية.

وكل ناحية من هذه النواحي يوجد فيها مؤثرات على المعنى، ففي الناحية الصوتية من الممكن أن يتأثر المعنى بتغيير مواضع الأصوات، أو التغيير بنبرة الصوت. وفي الناحية الصرفية التحويل في بنية الكلمة، أما الناحية النحوية فتكون بالنظر إلى الوظيفة النحوية التي تؤديها الكلمة داخل الجملة، ومن الضروري أن تكون معاني الكلمات التي تتألف منها الجملة مترابطة؛ كي يتم المعنى كقولنا مثلاً: كتاب سيبويه أرسى قواعد النحو العربي، والناحية المعجمية تكون بمعرفة معنى الكلمة مفردة من المعجم وبالإضافة إلى النواحي السابقة المؤدية لمعرفة المعنى ربما يُكتشف المعنى من خلال التعرّف على بعض اهتمامات علم الاجتماع فيما يتعلق بالعادات الاجتماعية السائدة في مجتمع ما، وآلية التواصل فيما بين أفراد هذا المجتمع"[115]".

والباحث عن المعنى "قد يوجه جزءاً كبيراً من اهتمامه للعمليات العضوية المركبة في الفم، وفي أعضاء النطق بالنسبة للمتكلم، وتتبع ما تحدثه من اهتزازات هوائية تلتقطها أذن السامع. وهو يسير وراءها أبعد من ذلك ليرى كيف تتحول إلى إشارات عن طريق الجهاز العصبي، وكيف يتلقى العقل هذه الإشارات من خلال الأعصاب الممتدة من الأذنين ويترجمها إلى الفكرة التي يعنيها المتكلم"[116]".

ولولا خوفي من تحميل نص سيبويه ما لا يحتمل لقلت: إنّ الزوايا التي يُنظر منها لدراسة المعنى تنطوي تحت عبارة سيبويه "علمه بالدلالة"؛ فسيبويه "وإن تكلّم بالنحو، فقد نبه في كلامه على مقاصد العرب، وأنحاء تصرفاتها في ألفاظها ومعانيها، ولم يقتصر فيه على أنّ الفاعل مرفوع والمفعول منصوب ونحو ذلك، بل هو يبين في كل باب ما يليق به حتى انّه

---

[114] السابق نفسه، ص11.

[115] ينظر: علم الدلالة، ص (13-14).

[116] من قضايا اللغة والنحو، ص4، د.أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1974م.

احتوى على علمي المعاني والبيان ووجوه تصرفات الألفاظ والمعاني"[117]".وكتاب سيبويه "يمثل الفهم النحوي الراشد الذي يعنى بتمييز التراكيب وكشف خصائصها وتواؤمها مع ملابساتها"[118]". فالفهم الصحيح لمضمون النص الفهم الصحيح للنحو، فهما وجهان لعملة واحدة– إن صح التعبير –فالنحو والدلالة" يتعانقان تعانقاً حميماً بحيث يكون الفهم الصحيح للنحو هو الفهم الصحيح للأساس الدلالي الذي يقوم عليه النص"[119]".

"وإنّ كلّ تعبير له من أوجه العربية وجه به يستقيم، ويكون صواباً لا خطأ فيه. ومعنى هذا أيضاً أن المعيار الذي يحتكم إليه في تمييز الصواب من الخطأ نسبيّ تقريبي. وإذن تبقى غاية أخرى، هي الكشف عن التمايز بين هذه التراكيب والفروق بينها في أدائها لما يراد بها أداؤه والتعبير عنه"[120]".و"المتكلم الأصلي باللغة يملك القدرة على تمييز الجمل غير الصحيحة نحوياً ودلالياً من الجمل الصحيحة نحوياً ودلالياً"[121]".وإنّ الحكم على نص ما يأتي من جانبين الجانب النحوي، والجانب الدلالي وهذان الجانبان يتشكل فيهما المعنى، ولكل جانب شروطه وقوانينه التي تنتظمه والتي يكون الحكم من خلالها على الصحة النحوية والدلالية.

وأكاد أقول: إنّ سيبويه قد أقام كتابه على المعنى الذي كان يضعه نصب عينه في كل خطوة خطاها في أثناء تأليفه لهذا الكتاب، فعظم اهتمام سيبويه بالدلالة أدّى بأتباع مدرسة الكوفة أن يقولوا: إنه "عمل كلام العرب على المعاني وخلّى عن الألفاظ" أي أنّه أولى الجانب الإدراكي رعاية واهتماماً على حساب الجانب الصوتي، أو بعبارة أخرى إنّه يهتم بالدّلالة وليس بالدّال، أو بالمعنى الداخلي، وليس بالشكل الخارجي. وعلى ذلك، ليس الوصف النحوي جامداً أصّم خالياً من الدلالة؛ إذ إنّ الوصف النحوي وصف للعلاقات التي تربط عناصر الجملة الواحدة بعضها بالبعض الآخر"[122]".

وإنّ سيبويه قد ترك لنا كتاباً يحمل في طياته "مادة لغوية غزيرة فيما نقله إلينا

---

[117] الموافقات 116/115/4، أبو إسحاق الشاطبي، المطبعة الرحمانية، مصر و 60/4 في طبعة الدار الثقافية العربية – بيروت.

[118] النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي–الدلالي، ص31، د. محمد حماسه عبد اللطيف، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

[119] السابق، نفسه، ص8.

[120] النحو والدلالة، ص32.

[121] السابق نفسه، ص57.

[122] الشاهد وأصول النحو، ص20

من المفردات والعبارات حتى أنّ أصحاب المعاجم استفادوا منه ونقلوا عنه[123]".

وأما صاحب خزانة الأدب فقد قال عن سيبويه "روى في كتابه قطعة من اللغة غريبة لم يدرك أهل اللغة جميع ما فيها، ولا ردّوا حرفاً منها"[124]"

وقد قال أبو إسحاق "إذا تأملت الأمثلة من كتاب سيبويه تبينت أنه أعلم الناس باللغة"[125]".

وقد روى لنا أبو جعفر النحاس عن علي بن سليمان قوله:"حدثنا محمد بن يزيد أن المفتشين من أهل العربية ومن له المعرفة باللغة تتبعوا على سيبويه الأمثلة فلم يجدوه ترك من كلام العرب إلا ثلاثة أمثلة منها: الهُنْدَلع وهي بقلةٌ والدُرْداقس وهو عظم في الفقار، وشمنصير وهو اسم أرض"[126]".

وقد نستخلص مما سبق أنّ سيبويه كان على معرفة واسعة بالألفاظ العربية إذ إنّ المتتبعين له على الرغم من معرفتهم باللغة اعترفوا بعجزهم أمام هذا العالم الفذ الذي "لا ننكر أنّ الحالة الإعرابية كانت مراعاة عند سيبويه، وعلى أساس هذه الحالة جاءت بعض أبواب الكتاب، ولكن هناك حالات أخرى تم تصنيف أبواب النحو على أساسها عند سيبويه، فمن هذه الحالات: العامل، والمعنى، والوظيفة التركيبية والدلالية للعناصر"[127]".وكل واحدة من هذه الحالات تُعد درسا لسانيا.

فمن الأبواب التي صنفها سيبويه وفقاً للحالة الوظيفية التركيبية والدلالية باب (الاستقامة من الكلام والإحالة) إذ إننا نلاحظ في هذا الباب أنّ سيبويه ينظر من الجانب النحوي، والجانب الدلالي، فالتركيب الذي يتوافق مع هذين الجانبين يكون مقبولاً لدى سيبويه ويصفه (بالمستقيم الحسن)، والذي يتوافق مع الجانب النحوي من دون الدلالي يصفه ببعض

---

[123] السابق،نفسه،ص 20

[3] خزانة الأدب، ج1، ص179.

[125] السابق نفسه، ج1، ص179.

[5] خزانة الأدب، ج1، ص179، وينظر: أنباه الرواه، ج2، ص358.

[127] عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه، د.سعيد حسن بحيري، ص243، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1410هـ-1989م.

الأوصاف كأن يقول: قبيح، أو محالٌ[128]" يقول سيبويه: "فمنه مستقيمٌ حسنٌ، ومحالٌ، ومستقيمٌ كذبٌ، ومستقيمٌ قبيحٌ، وما هو محالٌ كذبٌ. فأمّا المستقيم الحسنُ، فقولك: أتيتك أمسِ، وسآتيك غداً، وسآتيك أمسِ.

وأما المستقيم الكذبُ، فقولك: حملتُ الجبلَ؛ وشربت ماء البحر، ونحوه. وأما المستقيم القبيح، فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت وكي زيد يأتيكَ وأشباه هذا. وأما المُحال الكذب؛ فأن تقولَ: سوف أشرب ماء البحرِ أمسِ"[129]".

وقد رأى بعض الباحثين أنّ المستقيم الحسن، والمحال، والمستقيم الكذب والمستقيم القبيح، والمحال الكذب هي أقسام المعنى في العربية كما قسمها سيبويه"[130]".

وقد افرد سيبويه في كتابه باباً يميز فيه بين اللفظ والمعنى وهو باب (اللفظ للمعاني) إذ قال: "اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جَلسَ وذهبَ. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجَدتُ عليه من المَوْجِدة، ووجَدت إذا أردت وِجدان الضّالَّة، وأشباه هذا كثير"[131]".

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين إلى أن بريال أول من تعرّف إلى الدلالة إذ قال: "ويرجع الفضل في هذا الاسم إلى العلاّمة بريال"[132]".

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل رأى بعض المحدثين من اللغويين العرب "ممن درس اللغة دراسة أوروبية حديثة أنّ الدلالة أو علم الدلالة (Semantique) من المبتدعات الأوروبية الحديثة التي بحث بها الغربيون في أواخر القرن التاسع عشر"[133]".

ولكننا نقول: إنّ هذا المصطلح قد فطن إليه سيبويه منذ القرن الثاني الهجري

---

[128] ينظر: دليل القاعدة النحوية عند سيبويه، ص(115-127).

[129] الكتاب ج 1، ص25-26.

[130] ينظر: أئمة النحاة في التاريخ، ص58، د. محمد محمود غالي، دار الشروق، جده-السعودية، ط1، 1396هـ -1978م.

[131] الكتاب، 24/1.

[132] علم اللغة، علي بن الواحد وافي، ص8.

[133] التطور اللغوي التاريخي، د.إبراهيم السامرائي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص41، ط2، 1401هـ-1981م

فالفضل يعود لسيبويه في التعرّف إلى هذا المصطلح، وليس للعالم الفرنسي بريال كما ذهب إليه بعض الباحثين العرب في قولهم:" ولقد كان الفرنسي بريال أول من فطن إلى هذا المصطلح(Semantiqu) وذلك في سنة 1883 قاصداً به علم المعنى أو علم الدلالة كما بدا لنفر من علمائنا اللغويين العرب أن يترجموا بـ(الدلالة) اللفظ الأعجمي، وقد كتب هذا العالم الفرنسي رسالة درس فيها الدلالة في جملة من اللغات الهندية الأوروبية كاللاتينية والسنسكريتية وغيرهما، وقد نشرت هذه الرسالة في سنة 1897 وشاعت واستقبلها الباحثون استقبالاً حسناً فترجمت إلى الإنجليزية"[134].

وقد رأى بعض الباحثين أنّ علم الدلالة أصبح فرعاً من فروع علم اللغة منذ مطالع القرن العشرين، وقد فاتهم أنّ علم الدلالة واحد من العلوم التي تتشكل منها اللغة،ولا يمكن لأي علم منها أن يكون منعزلاً عن الآخر، فكل العلوم اللغوية وحدة واحدة، وكل منها معتمد على الآخر، وهذه من المبادئ اللسانية التي تنبه إليها سيبويه في كتابه قبل قرون وليس كما هو في رأي بعض الباحثين عند قولهم: "وقد أصبحت الدلالة" أو "علم الدلالة" أو "نظرية الدلالة" أو "نظرية المعنى" أو "علم المعنى" منذ مطالع القرن العشرين فرعاً من فروع البحث اللغوي معترفاً به في علم اللغة، ومع ذلك يرى جورج مونان أنّ دراسة هذا الفرع لم تبلغ سن الرشد العلمي، ويرى كثير من الألسنيين أنها الجزء من الألسنية التي تعترض تطبيق الهيكلية عليه أكثر العقبات، وهي عقبات لم تتضح طبيعتها بعد"[135].

وإنّني لا أجد نفسي مبالغاً إذا قلت:بأن تلك العقبات تزول بالرجوع إلى كتاب سيبويه.

ولا نجد العالم فيرث قد جاء بأكثر مما جاء به سيبويه، فقد نظر من الزوايا التي نظر منها سيبويه فيما يتعلق بدراسة المعنى "فالمعنى في رأي فيرث كما بينه الدكتور تمام حسان" كلّ مركب من وظائف لغوية هي وظائف الصيغة. والعناصر الهامة في هذا الكل المركب هي الوظيفة الأصواتية (الصغرى) ثم الوظائف الكبرى المعجمية، والصرفية، والنحوية، ووظيفة الماجريات الدلالية بصفة عامة"[136].

---

[134] السابق،نفسه، ص47.

[135] النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص49،د0محمد حماسه عبد اللطيف ،2006،ط1دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،القاهرة0

[136] مناهج البحث في اللغة، تمام حسان 269،دار الثقافة،1394- 1974 ،ط2.

"وإن أيّـة دراسـة دلاليـة وضـعية للكـلام لا يمكـن أن يُعتمـد عليهـا إذا لـم تأخـذ باعتبارها الأصوات (والتنغيم داخل هنا) ونحن لا نستطيع أن نبدأ الصرف بلا دراسة الأصوات، بل إننا في بعض الحالات نجد الأصوات دراسة ضرورية للنحو أيضاً، فالأبواب الشكلية أصواتية تنغيمية موقعية"[137].

و"علم الدلالة يمثل مستوى من مستويات الدرس اللساني، وهو يرتبط بالمستويات الأخرى الصوتية والصرفية والتركيبية، وتتعاون هذه المستويات على بيانه وتوضيحه فهو يرتبط بالفونيمات أو الوحدات الصوتية، كما يرتبط بالكلمات أو الصيغ الصرفية إلى جانب الجمل أو التراكيب وبهذا نجد أنّ الدرس الدلالي يشتجر بهذه المستويات ويرتبط بها ارتباطاً وثيقاً"[138]. وهذا ما نجده عند تشومسكي في "النظرية التحويلية التوليدية التي أكد من خلالها على دور المعنى في التحليل اللساني"[139].

وقد لجأ سيبويه إلى المعنى "في تقويم الأساليب العربية والتراكيب اللغوية من حيث الصواب والخطأ، كما اعتمدها في التفاضل بين التراكيب الصحيحة من حيث الجودة استقامة ورداءةً، وما بينهما من أحكام"[140]."

ولم يكن أولمان بمنأى عما كان يفكر فيه سيبويه إذ قال أولمان "إنّ المدلول هو الفكرة التي يستدعيها اللفظ، واللفظ هو الصيغة الخارجية للكلمة، وعلى هذا فإن العلاقة بين اللفظ ومدلوله علاقة متبادلة"[141].

وكتاب سيبويه "لا يعلّم العربية وقواعدها فحسب، بل يعلّم أيضاً أساليبها ودقائقها التعبيرية ... فهو لا يسجل القواعد فقط، وإنّما يفكر في العبارات ويلاحظ ويتأمل ويستنبط خواصّها ومعانيها بحسّه الدقيق المرهف"[142].

---

[137] السابق،نفسه، ص252.

[138] أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، 244.

[139] أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص55.

[140] رسالة ماجستير، نظرية المعنى في كتاب سيبويه، ص174،عماد زاهي نعامنه،1999

[141] دور الكلمة في اللغة، أولمان، ترجمة كمال بشر، ط1، ص59، 1962م.

[142] المدارس النحوية ،د.شوقي ضيف، ص77،دار المعارف ،مصر،ط2

وقد"احتفظ كتاب سيبويه بشهرته منذ أن تداوله العلماء إلى اليوم، حتى إننا لا نجد نحوياً واحداً إلا وقد اعتمد عليه في مصنفاته، وهو في عصرنا الحالي محور أساسي من محاور الدراسات اللغوية، فقد كُتبت الكثير من الأبحاث والدراسات حوله، وهي من الكثرة بحيث يستحيل إحصاؤها"[143]".

ولو لم يكن كتاب سيبويه ذا أهمية كبيرة لما وجدنا هذا الاهتمام به منذ ظهوره، فقد أوجد نقله نوعية في التأليف، فكتاب سيبويه شامل للدراسات اللغوية في جميع مستوياتها، وكأن ظهور كتاب سيبويه بمثابة بزوغ فجر جديد في مناهج التأليف، وما زال الباحثون إلى الآن، وسيبقون ينعمون بهذا الكتاب الذي كان له الفضل في إيجاد حركة علمية كان أصلها كتاب سيبويه ،وإنّ المؤلفات التي جاءت بعده في كثير من العلوم ما هي إلا فروع لذلك الأصل الذي زرع سيبويه بذرته وإنّ سيبويه في تأليفه للكتاب لم يكن أمامه ما يرجع إليه من مؤلفات كما نعرف فما اعتمد عليه في تأليفه هو كلام العرب الذي برع في استقرائه، واعتمد على آراء العلماء كأبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمر، وغيرهم ممن ورد ذكرهم في كتابه، وقد يقول قائل: ربما أنّ هناك كتب ككتاب سيبويه كما ذُكر في بعض الروايات أنّ عيسى بن عمر كان له كتابان: الإكمال والجامع، فأقول له: إنّ هذين الكتابين لم يصلا إلينا، وقد ضاعا من يد الزمن، وإنّ حديثنا عنهما يأتي من باب الرجم بالغيب، ونحن نحكم على ما هو واقع أمامنا هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى من المحتمل أنّ ما سبق سيبويه من مؤلفات كالكتابين المذكورين سابقاً، أو كتعليقة أبي الأسود الدؤلي ما هي إلاّ " من نوع الرواية التي تعتمد على سرد الخبر،أو نقل النص،أو ذكر الأحكام، ولم تكن لغة تحليل علمي بالمعنى الذي نفهمه اليوم"[144]" أما سيبويه فقد جاء بنهج جديد لم يكن معروفاً من قبل، ومن المرجّح أنّ المؤلفات التي جاءت قبل كتابة لم تكن بحجم كتاب سيبويه، والدليل – كما أرى – على ذلك الأهمية الكبيرة التي لقيها الكتاب الذي أودع فيه علم من سبقه من العلماء بكل أمانة،"ذُكر سيبويه عند يونس بن حبيب قال أظنُّ هذا الغلام يكذب على الخليل فقيل له وقد روى عنك أشياء فانظر فيها، فنظر فيها وقال: صدق في جميع ما قال، وهو قولي"[145]"

---

[143] الكتاب،سيبويه،علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، د. أميل بديع يعقوب، ج1، منشورات دار الكتب العملية، بيروت، لبنان، ص29.

144 صعوبات أسلوبية في كتاب سيبويه، ص127، د. عبد الرحمن أيوب، مجلة دراسات عربية، جامعة أحمدوبيلّو، كانو، نيجيريا، 1972م.

[145] نزهة الألباء، ص62،كمال الدين بن الأنباري،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار نهضة مصر ،القاهرة0

فمنذ أن انتهى سيبويه من جمع مادة الكتاب، وجاء على الصورة التي نراها عليه اليوم، وظهر للناس بعد وفاته رحمه الله، أصبح مثار اهتمام أدّى إلى حدوث "حركة علمية واسعة المدى، واهتم به الدّارسون وعنى به الشارحون والمحققون واتخذه الدارسون نبراساً يستضيئون به في دراستهم اللغوية والنحوية والصرفية. وما يزال حتى اليوم المصدر الأول في جميع ما يُكتب ويُؤلف في موضوعاته وسيبقى كذلك على مدى الأيام"[146]. وسيبويه عند تأليفه لكتابه "لم يسر فيه على مثال سابق ولم يكن عمله في الكتاب مجرد الجمع بل كان له فضل الجمع،والتبويب،والمناقشة،والترجيح،والتوضيح"[147].

وقد استخلص سيبويه كتابه من فكرة أتت من عمق تفكير وتدبّر، فكتابه معمول – كما قال علي بن سليمان – "على لغة العرب وخطبها وبلاغتها فجعل فيه بيتاً مشروحاً، وجعل فيه مشتبهاً ليكون لمن استنبط ونظر فضل وعلى هذا خاطبهم الله عز وجل في القرآن الكريم"[148].وقد اتفق صاحب خزانة الأدب مع الرأي الوارد في الفقرة السابقة إذ قال إنّ "سيبويه عمل كتابه على لغة العرب وخطبها وبلاغتها"[149].

فما جاء فيه سيبويه في كتابه أدّى إلى أن يشهد له جهابذة العربية على مختلف العلوم العربية التي اهتموا بها سواء في البلاغة، أم النحو، أم الصرف، أم غيرها من العلوم فهذا السكاكي يرى بأنّ كتاب سيبويه "لا نظير له في فنّه ولا غنى لامريء في أنواع العلوم عنه لا سيّما في الإسلامية منها فإن فيها أساس وأيّ أساس"[150].

وكتاب سيبويه فيه أكثر من علم من علوم العربية كالنحو ،والصرف، والأصوات اللغوية والضرورات الشعرية ونحوها من العلوم التي يكمل بعضها البعض الآخر ويرتبط به ارتباطا وثيقا وقد اعتمد في هذه الموضوعات على آراء شيوخه ومعاصريه وعلى ما رواه عن القبائل العربية المختلفة التي اعترفوا بفصاحتها وشهدوا بصفاء لغتها وأخذوا عنها0وعلى ما رواه هو نفسه واستنتجه من الآراء من خلال مناقشاته لشيوخه ومعاصريه مستندا في ذلك كله إلى

---

[146] سيبويه وشروحه، ص145.

147 السابق نفسه،ص 102.

[148] شرح كتاب سيبويه، السيرافي، الحاشية، ج1، ص279.

[149] خزانة الأدب ،ج1 ، ص179، عبد القادر البغدادي، ط1، بولاق، القاهرة 1030 هـ– 1930م.

[150] ينظر: مفتاح العلوم، ص13، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي، ط1، مصر، 1356هـ–1937م.

القرآن الكريم في الأعم الأغلب وإلى كلام العرب منثوره ومنظومه"[151]".

ولا أرى الدكتورة خديجة الحديثي قد ذهبت بعيداً عند قولها عن كتاب سيبويه "بأنه ما زال جديداً على الرغم مما ألف بعده من كتب وأسفار، وما يزال منبعاً صافياً لمن يريد دراسة النحو والصرف وغيرهما من علوم العربية"[152]. فكتاب سيبويه منذ أن ظهر إلى الناس كان متجدداً دائماً؛ فكلما استطاع باحث التعمق في مادة الكتاب فإنّه سيأتي بشيء جديد لم يكن معروفاً من قبل وكيف لا وهو يبحث في كتاب سمي بقرآن النحو. ولا أجد نفسي مبالغاً إذا قلت: بأن الباحثين على اختلاف اهتماماتهم إن وجهوا بحوثهم إلى كتاب سيبويه فإنهم سيضيفون لبنات جديدة في بناء العلوم العربية وغيرها وإنني أقف في صف كل من يرى بأن "نعود إلى الكتاب ونتعمق مادته، ونرى ما الذي بحث فيه"[153]".

والعودة إلى الكتاب ليست مقصورة على الباحثين في العربية فقط، بل تتعداه إلى كل من يرغب في البحث في المسائل الدينية، أو في أي علم من علوم الأدب الستة "اللغة، والصرف، والنحو، والمعاني، والبيان، والبديع"[154]"إذ إنّ البحث في كتاب سيبويه يشبه من يبحث في البحر عن دُرر ثمينة، وركوب البحر ليس بالأمر السهل إلا لمن يجيد فن العوم وكذلك الحال بالنسبة لكتاب سيبويه فالبحث فيه يحتاج إلى صبر وشدّة تحمّل، فهذا أبو حيّان التوحيدي يقول لأحد تلاميذه "علّق عليه، واصرف همتك إليه فإنك لا تدركه إلا بتعب الحواس، ولا تتصوره إلا بالاعتزال عن الناس"[155]".

فالباحث في كتاب سيبويه يجد نفسه أمام كتاب "لا يحتوي على النحو والصرف فقط بل يبحث في مختلف فروع العربية، ويتعرض لكثير من المسائل الدينية، والدراسات القرآنية، فهو كالبحر في تعدد ما يحتويه من أصناف العلوم والفنون لذلك كان القدماء يسمونه "البحر"؛ أو "البحر الخضم" تشبيهاً له بالبحر لكثرة جواهره ولصعوبة مضايقه"[156]".

وكتاب سيبويه "على كثرة ما ألف بعده من كتب هو المنبع الصافي لمن جاء بعده

---

[151] سيبويه وشروحه، ص62.

[152] السابق نفسه، ص62.

[153] الشاهد وأصول النحو، ص20.

[154] ينظر: خزانة الادب، ج1، ص3.

[155] معجم الأدباء، 153/8.

[156] سيبويه وشروحه، ص63.

فلم تتغير بهجته، ولم تخلق جدته، وما ذهب بهاؤه، وما حمد سناؤه، فهو كالدوحة الباسقة، وغيره أغصان لها وفروع، كالنهر المتدفق يغذي فروعه وجداوله، ولو ألزم المؤلفون أنفسهم أن يصرّحوا بما أخذوه من كتاب سيبويه لتردد اسمه في كل مسألة عرضوا لها"[157]".

ويمكن أن نجمل أهم ما توصّل إليه البحث من نتائج فيما يأتي:

1. سعة أثر كتاب سيبويه في الدراسات اللغوية والنحوية وغيرها من علوم اللغة العربية.
2. لقد ظهر من خلال ما أثبته لسانيون غربيون في بحوثهم تأثر اللسانيات الحديثة بالتراث اللغوي العربي.ولا يبالغ أحد إذا قال:بأنّ كتاب سيبويه يمثل التراث اللغوي العربي خير تمثيل.
3. أهمية السياق،وأهمية مراعاة المقام والمقال في تحديد المعنى،وهما يُعدّان من أهم فنون التعبير،والإحاطة بفنون التعبير لا تتأتى إلا لمن لديه سعة الاطلاع على لغات العرب ،وهذا ما كان عند سيبويه.
4. يُعد المنهج الاستقرائي من أهم المرتكزات في الدراسات اللغوية.
5. إنّ دراسة المعنى تحتاج إلى النظر من عدّة زوايا:الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمعجمية.
6. لقد صنّف سيبويه أبواب النحو على عدّة حالات تتمثل:بالعامل،والمعنى،والوظيفة التركيبية والدلالية للعناصر،إذ إنّ كل واحدة من هذه الحالات يمكن أن نعدّها درسا لسانياً.
7. إنّ التعرف إلى الدلالة قد فطن إليه سيبويه قبل أن يشير إليه الباحثون المحدثون أمثال بريال وغيره.

وبعدُ، فلعلنا حققنا الهدف الذي سعى البحث من أجله وهو أنّ سيبويه رحمه الله أول من تعرّف إلى الدلالة في الموروث اللغوي العربي. فرحم الله سيبويه، ووفقنا جميعاً إلى ما يحبه الله ويرضاه، إنه نعم المولى ونعم النصير0

المصادر والمراجع

1) أبو مغلي ،سميح ،ومصطفى محمد الفار،**الأصول في اللغة العربية وآدابها**،مركز غنيم للتصميم والطباعة،عمان،ط،01990 2

[157] المغني في تصريف الأفعال، ص7، محمد عبد الخالق عضيمة ، ط2، مطبعة العهد الجديد، 1375هـ-1955م.

2) أحمد مختار عمر،**علم الدلالة**،عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

3) أحمد مختار عمر، **من قضايا اللغة والنحو**، عالم الكتب، القاهرة، ط1974،1

4)ا لأنباري، كمال الدين،**نزهة الألباء**، ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،دار نهضة مصر، القاهرة

5)أميل بديع يعقوب،**فقه اللغة العربية وخصائصها**،1 ط1 ،982،دار العلم للملايين،بيروت0

6) البغدادي،عبد القادر ،**خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، ، ط1،بولاق القاهرة 1030هـ-1930م.

7) البكاء، محمد عبد المطلب، **المدخل إلى كتاب سيبويه**، ط1، بغداد، 2001، دار الشؤون الثقافية العامة.

8) التفتازاني، ،مجموعة من الشراح: سعد الدين ، وابن يعقوب المغربي، وبهاء الدين السبيكي، **شروح التلخيص**، القاهرة، مكتبة عيسى البادبي الحلبي،1937م.

9)تمام حسان،مناهج البحث في اللغة،دار الثقافة،الدار البيضاء،1401هـ1974م،ط2

10)الجزائري،الشيخ يحيى الشاوي المغربي،إرتقاء السيادة في علم أصول النحو،تحقيق عبدالرحمن عبدالرزاق السعدي،ط1411،1هـ1990م.

11)لحديثي، خديجة،**سيبويه وشروحه**، ط1، دار التضامن، بغداد، 1386هـ1967م.

12) الحديثي، خديجة، **الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه**، مطبعة مقهوي الكويت، 1974م.

13) الحموي، **معجم الأدباء**، ياقوت، سنة 1355.

14)الدلابيح،محمد فضل،**دليل القاعدة النحويةعند سيبويه**، دار الكتاب الثقافي،اربد،،2005، ط1.

15)الزبيدي،**تاج العروس من جواهر القاموس**،دار إحياء التراث العربي،بيروت.

16) السامرائي،إبراهيم، **التطور الغوي التاريخي** ،دار االأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،1402هـ1981م ط2 .

17)سعيد حسن بحيري ،عناصر النظرية النحوية في كتاب سيبويه،مكتبة الأنجلو المصرية،ط1410،1 هـ 1989م.

18)السكاكي، **مفتاح العلوم**، أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ، ط1، مصر، 1356هـ-1937م.

19) السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه**، السعادة، 1326.

20) الشاطبي، **الموافقات**، أبو اسحاق ، المطبعة الرحمانية، مصر.

21) عبد الرحمن أيوب، **صعوبات أسلوبية في كتاب سيبويه**، ، مجلة دراسات عربية، أحمد

وبيلو، كانو، نيجيريا، 1972م.

22)العبيدي ،**التعليل اللغوي في كتاب سيبويه**، د. محمد ، دار الكتب الوطنية، بنغازي.

23)عضيمة، **المغني في تصريف الأفعال**، محمد عبد الخالق ، مطبعة العهد الجديد، 1375هـ-1955م.

24)علي زويّن،**منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**،ط1،بغداد،1986م،دار الأنبار للطباعة والنشر.

23)علي عبد الواحد وافي،**علم اللغة**،دار نهضة مصر،ط7.

25)) علي النجدي ناصف، **سيبويه إمام النحاة**، ، ط1، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1953م.

26) القفطي، جمال الدين علي بن يوسف، **إنباه الرواه على أنباه النحاة.**

27) محمد حماسه عبد اللطيف، **النحو والدلالة – مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي**، ، دار غريب للنشر والتوزيع، القاهرة، 2006م.

28) محمد محمود غالي، **أئمة النحاة في التاريخ**، د. دار الشروق،جدة، السعودية،ط1، 1396هـ-1976م.

29)المخزومي،مهدي،**الخليل بن أحمد أعماله ومنهجه**،دار الرائد العربي،بيروت،لبنان، ط 2 ،1406 هـ1986م.

30)الموسى،نهاد،**نظرية النحو العربي في مناهج النظر اللغوي الحديث**،دار البشير ،عمان،ط1987،2م.

31) النحوي، أبو حيان، **البحر المحيط**، ، ط1، القاهرة، 1328 هـ.

الرسائل الجامعية

1) عماد زاهي نعامنه، **نظرية المعنى في كتاب سيبويه**، ،إشراف محمد كاظم البكاء،1999م.

المصادر الأجنبية

1)Sulman. **The principles of semantics**